في نحو قوله صلى الله عليه وسلم لو بلغت ذنوبكم عنان السماء فعنان
هو السحاب وقيل ما عن لك أي ظهر إذا رفعت رأسك وتشبيه النفس
بالدابة واستعارة العنان لها تشبيه واضح واستعارة صحيحة
في كلام علماء الصوفية ما معناه أن كل أحد مسافر في حقيقته
ومنتقل إلى الآخرة من غير إحساس بانتقاله من المسافر ولا من
المسافة والبدن دابته الموصلة له إلى مقصد سفره فهي نفسه
وعمره مسافة فتزوده وأوقاته مراحله ومنازله والدابة تحتاج
إلى اللجام تنقاد به ويمنعها من أن تجمح وإلى سوط تنساق به
وتقويتها على مشقة سيرها فلجامها التقوى الذي تحجزها
عن الوقوع في شهواتها المانعة لها عن بلوغ المقصود ودونه تكسير إذا
استرسلت لئلا تركب التعاسيف فتضل عن طريق الجادة
فتنقطع عن الوصول إلى المقصد فتهلك وفي الحديث المنبت
لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وسوطها الخشية من الله والخوف من
سطوته وانتقامه وشديد عقابه مع نوع من الترويح
بالحداء المخفف لحمل ثقل التكاليف وهو الرجاء المسهل للسير
وزادها إعطاؤها من القوت بالمعروف من المباح الذي يمسك قوتها
ويعينها على القيام بما حملته وبما طلب منها من المسير إلى الغاية
المرادة منها ثم متى شدد عليها في السير الحثيث فوق طاقتها
أدى ذلك إلى ضعفها عن بلوغ المقصد وإلى مللها السير كما عمل
العابد العبادة فوق ما أكرهها فيقع في المحذور ومتى أرخى لها
العنان حتى سامت في مرعاها وزاد من علفها فوق الحاجة
أدى ذلك إلى حصول أنواع من الأمراض الحادثة الباطنة والظاهرة

الناشئة

الناشئة عن التجرد ومتى حمل معه عليها من العلف أكثر من مقدار
الضرورة ثم طمعا ثقل عليها فضعفت وتخلفت عن الرفقة وكل
ذلك من العوائق عن بلوغ المقاصد فلا بد من الاقتصاد في جميع
الأحوال فقد صح تشبيه النفس بالدابة ثم أخذ في ذكر عيوبها
تروح وتغدو وإلى القبيح كأنها لغير معاصي ربها ما أبدت
قيل الغدو والسير من أول النهار والرواح السير من الزوال إلى
آخر النهار ومنه غدوها شهر ورواحها شهر وقيل الغدو
الذهاب والرواح العود ومنه لو توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تروح خماصا وتعود بطانا والقبيح
كلها ذم من الشرع لأن التحسين والتقبيح لا يكون إلا بالشرع إذ لا حكم
إلا للشرع لا لمجرد العقل **قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث** رسولا
ولكن الإرسال فضل من الله إذ لا يجب عليه شيء ثم أشار الناظم
إلى أن النفس في غاية الانهماك في المعاصي في حركاتها وسكناتها
وعدم اكتراثها بمعاصيها بقوله كأنها لغير معاصي ربها
ما أبدت هذا من باب تجاهل العارف وفي الشفاء أن قوله تعالى
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين هو من باب تجاهل
العارف ومن المعلوم عند العقلاء أن النفس ما خلقت للطاعة
والعبادة **قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** فيكون
المراد منها معرفة الله وعبادته فتشبه حالها في استغراقها
في الشهوات بحال من هو مأمور بما أريد منه ثم أخبر أنها ألفت
البطالة واستحلت المعصية وثقلت عليها الطاعة حتى صارت كما قال
إذا دعيت للشر لبت وأقبلت وإن دعيت للخير فرت وولت
يقول إن النفس إذا دعيت لشيء من الشر الذي الغفلة ومن العصيان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)